فى الطريق :

سلوكنا الاجتماعى

نشرت المقطم الخبر التالى تحت عنوان : "لحة شاب ونخوة ضابط" و بتوقيع "راكب"

" ركب شاب وفتاة مركبة من مركبات الأتو بيس رقم ٦ عائدين من الجيزة ، وجلسا جلسة مريبة نفرت الركاب ولم يفه أحد منهم بكلمة ما. ولم ينقذ هذا الموقف سوى راكب ركب أخيرا ورأى ما رآه الركاب فطلب من الشاب الاعتدال فى جلسته، ولكنه كان مستهترا غير مؤدب فلم يذعن لقوله ، فأفهمه الراكب أنه ضابط برتبة قائمقام ، وأنذره إذا لم يعتدل فى جلسته أن يسلمه للبوليس وانتزع يده من مكانها ، وألقى عليه درسا فى الأخلاق ارتاح له الركاب وأثنوا على نخوة الضابط فى زمن ساءت فيه الأخلاق " .

وهذه هى حادثة من الحوادث الكثيرة التى تقع كل يوم إن لم تكن فى هـذا اللون ففى ألوان أخرى ، و جميعها ترتكز على شىء من سوء الأدب كما ترتكز على الروح الفردية التى لا تفرض للمجتمع وجودا . ويحتاج الإنسان لكى يوقف مرتكبيها عند حدهم أن يكون " ضابطا برتبة قائمقام " أو يعرض نفسه لمشاحنات ربما لا يجد من الجمهور المعتدى عليه من يعاونه فيها لضعف الروح الاجتماعية عند الجميع .

والأمثلة على سوء سلوكنا الاجتماعى كثيرة موفورة تقع من الصغار والكبار ومن المتعلمين والجهلاء ، ومن الراقين والأوساط والمنحطين ، لأن الدافع عليها عند الجميع هو روح الفردية التى تتغلغل فى الجميع ، وضعف الشعور بالمجتمع عند الأفراد ، وضعف هذا المجتمع نفسه عن وضع حد لاعتداءات الأفراد عليه .

وأبسط المظاهر كأكبرها سواء فى الدلالة على هذه الحقيقة ، وليس من الضرورى أن تصل الحادثة فى سوء الأدب إلى مثل ما رواه " راكب " فى " المقطم " لتدل على ضعف الروح الاجتماعية ونقص آداب السلوك ، فكثير من البسائط يدل هذه الدلالة نفسها ، مما سنضرب له الأمثال :

هذا شاب يسوق سيارة وقد وقف بها أمام منزل وأخذ يضغط على جهاز التنبيه و يطلقه بشدة مزعجة لأنه يريد أن ينبه صديقة أو صديقا فى الطابق الرابع ، دون أن يخطر له ببال أنه يزعج السكان و يزعج المارة فى الحى كله بهذا الضجيج ، وقد يخطر بباله هـذا ، ولكن ماذا يهمه ، ما دام هذا أسهل عليه من صعود السلم لتنبيه من يريد !

ومثل هذا أولئك الذين يركبون " الموتوسيكل " ويروحون به ويغدون فى سرعة خاطفة وفرقعة فظيعة من أول الشارع إلى آخره ليظهروا براعتهم أو يلفتوا أنظارا خاصة إليهم فى النوافذ وغير النوافذ ويعاكسوا الفتيات المارات ، ويدهسون من يدهسون فى سبيل هذه الأغراض الصغيرة .

وهذا رجل يلوح عليه أنه مهذب ، وقد جلس فى القهوة يلعب " النرد " وأخذته حماسة اللعب ، فهاهو ذا يرفع يده " بالقشاط " ويخبط به خشب " الطاولة " فى عنف وصخب ، وزميله يقلده أو لعله هو الآخر من محبى الخبط والرقع . . . ولكن ما ذنب بقية الجلاس ، وفيهم من جاء إلى موعد هام يصفى به بعض المسائل الهامة ، وفيهم الصحفى الذى جلس يكتب على عجل خبرا سمعه ، وفيهم مرهق الأعصاب الذى جلس هنا يستريح !

وهاأنت ذا جالس فى السينما وقد استغرقت فى متابعة مشاهد الرواية فى عقدة من عقدها — وقد تكون مأساة — فماذنبك أن تصل إلى سمعك فى هذه اللحظة ضحكة مدوية ، لأن شابا وفتاة هنالك فى أقصى السينما أو لأن جماعة ذات ذوق " مجليط " كانوا قد أخذوا فى رواية أخرى تدور بينهم وقد عنت لهم ضحكة فى مجرى قصتهم الخاصة ؟ !

بل ها أنت ذا تستمع إلى مطرب أو مطربة وقد ذهبت مع اللحن أو الصوت وطربت كما هو حقك أن تطرب ، ولكن ها هو ذا صوت أجش تفوح منه رائحة السكر وتضج منه العربدة ، أو ينبعث منه الذوق السيىء والإحساس الغليظ ، يصيح من خلفك ويكاد يصم أذنيك : " الله يا ... والنبى كمان " !

ثم ها أنت ذا فى مكان مزدحم تنبعث فيه الأنفاس الكثيرة حتى ليثقف الناس أنفاسهم وهنا وفى هذا الجو الخانق يحلو التدخين ، فها هى ذى اللفائف تشعل هنا وهناك ، وحاهم أولاء المدخنون ينفثون السم الزعاف فى وجوه المجتمعين لا يبالون سيدة تسعل ولا طفلا يحشرج ولا مريضا يلقف ، لأنهم هم مبسوطون لا يحسون هذه الدخنة القابضة !

وفى الترام أو فى المركبات العامة وقد امتلأت المقاعد ، ماتحس إلا وراكب قد ألقى بنفسه عليك إلقاء ، وعندما تلتفت إليه تجده قد ابتدأ يقول لك : « عن إذنك قليلا » ولا « قليل » هناك لأن المكان قد استوفى ركابه ، ولكنه دائب على زحزحتك رويدا رويدا فى صمت حتى يحشرك فيمن حولك ، فإذا خطر لك أن تنقذ الموقف بأن تقف وتخلى له عن مكانك نظر إليك شزرا كأنك أنت الذى ارتكبت الجريمة لأنك لفت نظر الركاب إليه !

وهذا يوم عطلة فى الشتاء وقد جلست فى شرفتك تستمتع بدفء الضحى ، وما تشعر إلا والعبار نازل على رأسك ووجهك إثر ضربات متتالية وفرقعة وطرقعة ! ماذا ؟ لا شىء ! فإن خادمة السكان فى الدور الأعلى تنظف السجادة ! أليسوا أحرارا فى تنظيف سجادتهم يا أخ !

ودعك من آداب المرور فى الطريق ، ومن الجماعات المتشابكة الأيدى، ومن الجالسين على الكراسى فوق الافريز وقد مدوا أرجلهم ونعالهم فى وجوه المارة وعاقوهم عن المرور ودفعوا بهم إلى ممر السيارات .

ودعك من المارين تحت النوافذ وأمام الأبواب وهم يقذفون من أفواههم أبذأ الألفاظ وأحط العبارات مصحوبة بالضحكة المعروفة " هاو أو أو " ! والناس فى بيوتهم ونوافذهم مجبرون على سماع هذا البذاء .

ودعك من البصق فى الطريق وإلقاء الأوراق المهملة والصناديق الخاصة بذلك على مرأى العين . فهذه أشياء بسيطة لا تلفت أحدا ولا تستدعى الانتباه !.

* * *

كل هذا وأمثاله مصدره ضعف روح المجتمع ونقص آداب السلوك. والمجتمع مسئول عن ذلك لتهاونه فى حقوقه ، فلو أن كل فرد مهذب يرى أحد هذه الظواهر تقع عليه أو على سواه ثم تمسك بتأديب مرتكبها — مع ما قد يتعرض له من متاعب — كما صنع ذلك الضابط الشهم الذى تحدث عنه "راكب" بالمقطم ، لخفت حدة هذه الظواهر الشائنة شيئا فشيئا .

ولكننا جميعا نراها كل يوم ، وبعضها يقع تحت طائلة العقاب القانونى لو ضبطناه ، فلا نكلف أنفسنا أن نتصدى له ، لأن تصدينا يضيع علينا بعض الوقت ، ويعرضنا لبعض المتاعب ، وقد نجد فى بعض الأحيان من رجال البوليس تثبيطا لهمتنا بسبب ضعف الروح الاجتماعية فى نفوسهم من جهة وبسبب تراكم الأعمال عليهم من جهة أخرى .

ولكن هذا جميعه لا ينبغى أن يصدنا عن أداء هذا الواجب القومى ، فالمهذبون فى الشعب عليهم واجبات قومية فى مثل هذا الطور من حياتنا ، وإليهم نوجه الحديث ، فلو أنهم جميعا تمسكوا بتأدية واجباتهم فى هذا السبيل لوجد المستهترون أنفسهم بعد مرة ومرة مضطرون لتلبية الواجب الاجتماعى ، ولعاونهم الجمهور على أداء مهمتهم متى رأى شدة تمسكهم بها ، وعدم اهتمامهم بما قد يوجه إليهم أول الأمر من تهمة الحذلقة والتدخل فيما لا يعنيهم كما يحدث فى بعض الأحيان .

إن عليهم أن يشعروا أنهم أفضل من الجمهور، وأنهم بسبب هذا ملزمون بتهذيب الجمهور وفى الوقت نفسه لا يحفلون باتجاه الجمهور ضدهم فى أول الأمر لعدم فهمه حقيقة بواعثهم وأهمية عملهم ، فالعمل الخير يجتذب النفوس لتأييده فى النهاية ولا سيما نفوس الجماهير الساذجة.

وذلك حتى يكون لنا بيت مصرى ومدرسة مصرية يحاول كلاهما أن يبث الروح الاجتماعية فى النفوس وأن ينهض بآداب السلوك ما